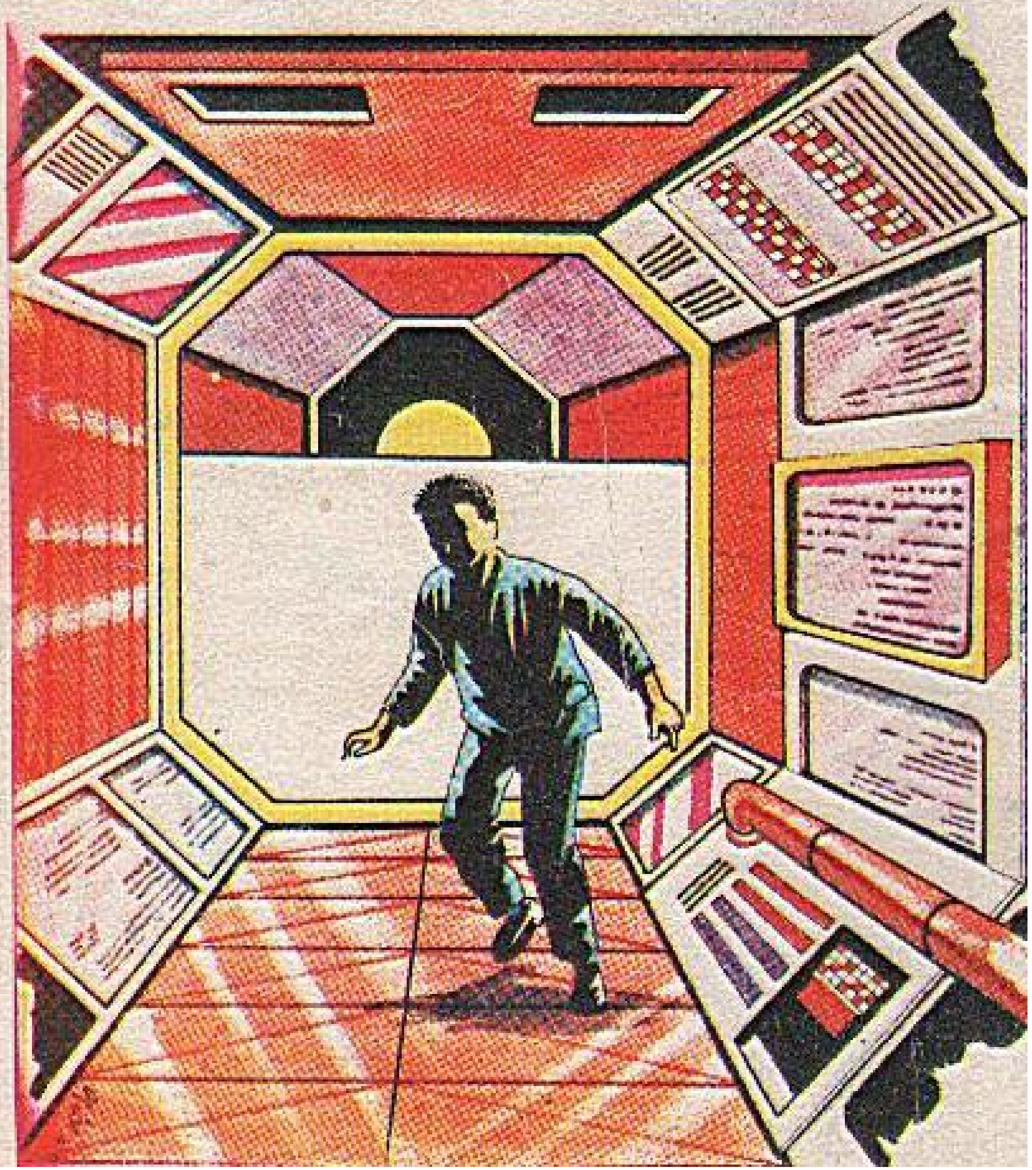
كوكب زامرون

عبد الستار ناصر



٣٧

كوكب زامرون

عبدالستار ناصر

الطبعة الاولى ١٩٨٧

الفصل الاول

عندما ذهبت الى فراشي ، في ليلة من ليالي الصيف ، كان شقيقي (ياسر) ينام على مقربة مني ، وكنا ـ سوية ـ نحدق في السماء والنجوم المتناثرة هنا وهناك ، كنت أحب الصيف ـ رغم حرارته ـ لاننا في لياليه الطويلة ننام فوق السطوح نشاهد السحب السود ونحلم بالمستقبل والغرائب التي تمر في طول وعرض هذا الكون الشاسع .

بعد منتصف الليل ، نظرت الى (ياسر) وقلت له :

ـ لماذا بقيت ساهرا حتى الان ؟ لقد نام أبي وأمي

واختي وداد ، وأنت وحدك ـ مثلي ـ ما زلت تحدق في السماء !

قال ياسر وهو يبتسم ببراءة :

ـ لا أشعر بالنعاس ، أنا مثلك يا (طارق) أحب السماء الزرقاء والنجوم ، وافكر دائما بهذا الكـــون البعيد ·· هذا العالم أمره عجيب ولا نكاد نعرف الا القليل جدا من اسراره وعجائبه ·

ابتسمت بشيء من الفرح ، أن ما يقوله (ياسر) على جانب من الذكاء ، وهو الصغير الذي ما زال في العاشرة من عمره ، ينطق بهذه الكلمات الكبيرة مثل عجوز في الستين من العمر ! حاولت أن أغفو وأنام ، حتى ينام (ياسر) من بعدي ، لكنني لم أستطع النوم حقا، بل تمكنت من غلق جفوني حتى يتوهم (ياسر) انني غفوت ، لكنني بعد ما يقرب من نصف ساعة فتحت عيني ـ من خلف أصابعي ـ وتمنيت أن أرى شقيقي (ياسر) وقد نام نوما هادئا ·· ولكن ، ما أن نظرت الى سرير أخي حتى رأيته خاليا تماما··· قلت في ذات نفسي : ربما ذهب الى المرافق ، أو ربما ذهب ـ كعادته ـ حتى ينام قرب ابي · لكنني لم اعثر عليه في المرافق ولم أجد له أثرا قرب سرير والدي!

* * *

شعرت بشيء من الخوف ، أنا أحب (ياسر) وليس لي أي صديق سواه ، فهو شقيقي وصديقي في وقت



ولكن ما ان نظرت الى سرير اختي حتى رأيته خالياً تماما

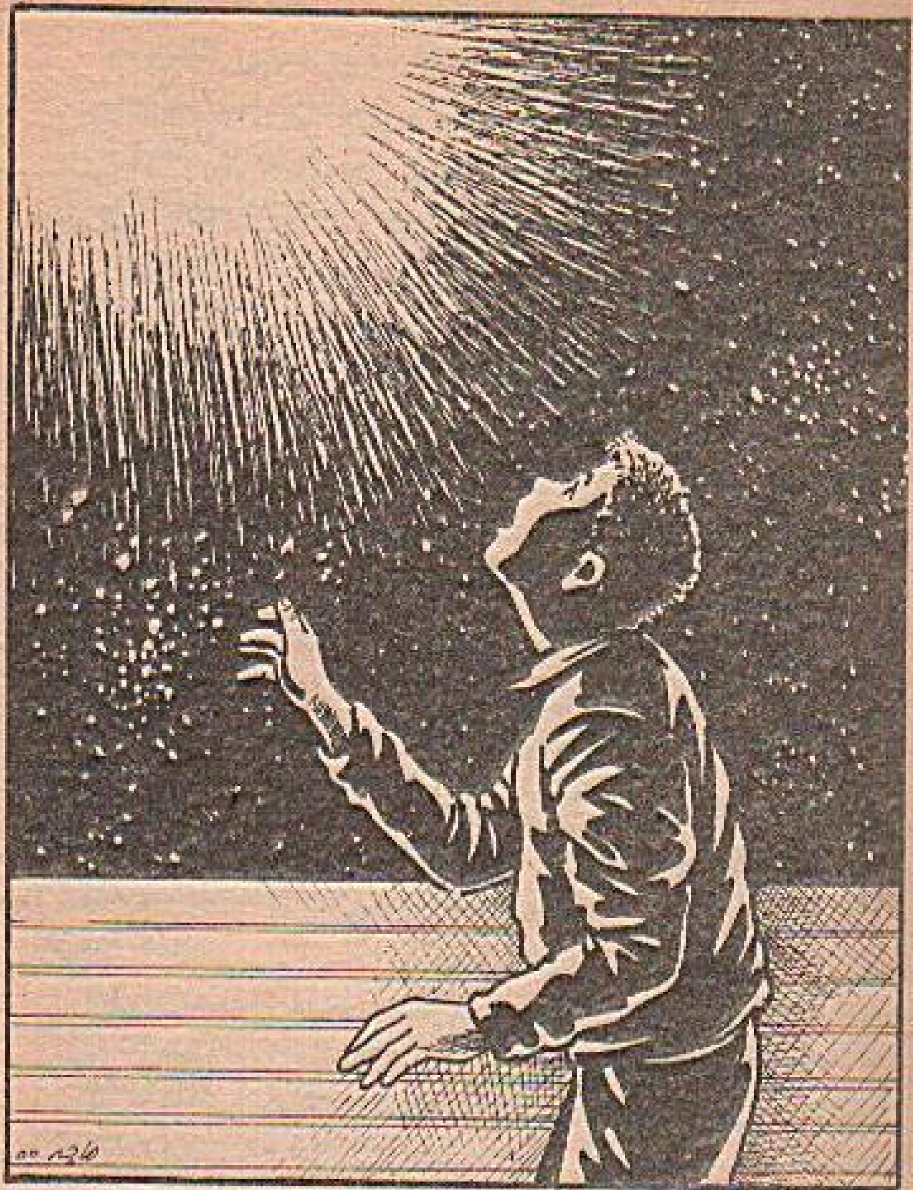
واحد .. ولست أدري كيف اختفى بهذه السرعة !
نزلت السلالم في عز الليل ، وأصبحت ـ بعد قليل ـ داخل المنزل ، ليس من ضوء في البيت كله ، لكنني أعرف الممرات والزوايا دون الحاجة الى أي ضوء ، كنت أهمس بصوت مسموع :

ـ ياسر ، أين أنت ؟ ياسر .. أين ذهبت ؟

لكن الوقت يمر بلا جواب وبلا حركة وبلا أي شيء يشير الى وجود ياسر ، لذلك قررت ايقاظ أبي حتى يتصرف في هذه المشكلة الغريبة ، لكنني حين صعدت السلالم خطف أمام عيني ضوء باهر وصوت يشبه صرير باب عتيق ، نظرت الى الضوء وهو يصعد بسرعة رهيبة الى أعلى السماء ، حاولت أن أحدد شكل هذا الشيء الذي أراه ، لكن الضوء كان أكبر من حجمه ، وما أن ابتعد فوق السحب السود حتى تمكنت أن أرى شيئا يشبه طائرة بلا أجنحة ، أو هو شيء أقرب الى البالون أو المنطاد ، ولكن على هيئة بيضة كبيرة ، ولست أدري ـ حتى الان ـ لماذا شعرت ـ فجاة ـ أن هذا الشيء الكبير المخيف هو الذي اختطف اخي (ياسر) !

رغم كل هذا لم تستيقظ أمي من نومها ، ولم يتحرك جسد أبي ، رغم النور القوي والصوت الخاطف الذي يشبه أزيز باب آلي الى السقوط ..

اقتربت من سرير ابي ، وفكرت : ماذا أقول لهم ؟ ان هذه المصيبة أكبر من قدرة أمي على الصبر وهي فاجعة قاتلة بالنسبة لهذا الشيخ المسكين ..



نظرت الى الضوء وهو يصعد بسرعة رهيبة الى أعلى السماء

* * *

لم يصدق أبي كل ما رويته عن الضوء الباهر ، وعن الشيء الذي يشبه طائرة بلا أجنحة ·· بل توهم انني أهذي أو أحلم ، وان (ياسر) ربما سقط الى أرض الزقاق ، فقد كان احد جدران السطح قديما ومأكولا·· وسرعان ما راح أبي ينزل السلالم مثل غزال مطارد ، حتى يرى بنفسه ما جرى ·

أما امي فقد أصابها الهلع والشلل مرة واحدة، وبقيت جالسة في مكانها لا تعرف ما تفعل سوى النظر الى السماء ·· لكن أبي عاد بعد قليل ، يمشي ببطء وهدوء وهو يسألني من جديد عن كل كلمة قلتها وعن كل شيء رأيته ·· وما كان مني سوى تكرار القول عشرات المرات ، بينما راح أبي يهز رأسه دون جدوى·

كانت الساعة الثالثة بعد منتصف الليل ، أو هي الثالثة صباحا ، هذا يعني ان (ياسر) تم اختطافه في الثانية ليلا ·· أي قبل ساعة واحدة فقط ، وكان من الممكن أخذي بدلا عنه ، لماذا أخذوه وهو الصغير الذي لا يكاد يصبر على مثل هذه البلوى أو على هذه المفاجاة المرعبة ؟

ثم ، أين تراها وقفت هذه الطائرة العملاقة التي لا أجنحة لها ؟ ومتى وكيف فتحت أبوابها ، وكيف تم لهم سرقة (ياسر) وانا لم اكن نائما ، انما حاولت خداع (ياسر) حتى ينام ؟

الاف الافكار والاسئلة تمر على رأسي دون جواب ، ولم يكن أمامنا في تلك الساعة سوى التطلع الى السماء الشاسعة الممتدة أمام أبصارنا من المجهول حتى المجهول ·· نحاول ان نصل الى قرار أو فكرة أو عمل نقوم به من أجل ياسر ، هذا الطفل العزيز الذي لا ندري أين رحل ، لكننا – مثل تماثيل من الشمع – كنا نجلس على فراشنا وننظر الى النجوم والمذنبات والنيازك والشهب البعيدة لعل نجمة واحدة من هذه النجوم تعطينا الجواب الحقيقي على رحيل (ياسر) او يتكرم علينا نيزك من هذه النيازك ويخبرنا عن مكان هذا الصغير الذي اختفى بأسرع من لمح البصر !

* * *

انتظرنا طوال اليوم التالي ، أن يرجع (ياسر) بطريقة أو بأخرى ، لكن النهار مر حزينا قاسيا باكيا، أراد أبي الذهاب الى الشرطة وأخبارهم عن اختفاء (ياسر) لكنه تردد اكثر من مرة ، خوفا من أن تتعقد الامور اكثر مما هي الان ، لكن ، أمي – بعد أن استغفرت الله وطلبت الرحمة منه – صارت في حال أحسن وهي تقول :

– لابد أن نخبر الشرطة بما جرى ، ربما يساعدوننا في معرفة ماجرى ، كما أن اختفاء انسان في ظروف غريبة وغامضة كهذه لابد أن تعرف بها الشرطة ثم راحت تولول على ياسر وتبكي بحرقة · وهكذا ذهبنا – أنا وأبي – الى أقرب مركز شرطة ، لكنني ماأن ذكرت لهم ماجرى ليلة امس وحكيت لهم عن البالون

العملاق الذي رأيت ذيله المنير ، حتى راح الجميع يضحكون مني بصوت عال ·· ولم يصدقني أي واحد منهم ، بل سمعت المفوض الشاب يقول :

ـ هذا الصغير خيالي جدا ، لابد انه كثيرالذهاب الى السينما وقراءة القصص الخرافية ·

ثم قال بهدوء وهو ينظر الى وجه أبي :

ـ سنبحث عن ابنك (ياسر) وان شاء الله سنعثر عليه بعد أن نوزع صورته على بقية مراكز الشرطة ·

وقبل أن نرجع الى البيت سألنا مفوض الشرطة:

ـ هل لكم عداوات مع أحد في المنطقة ؟ وهل هناك من يريد بكم شرا من الأقرباء أو المعارف ؟ يعني باختصار هل تشكون في أحد ؟هذه مسألة مهمة جدا··

قال أبي قبل أن يستمر المفوض في كلامه :

ـ نحن عائلة مسالمة ، نحب الناس ولايكرهنا احد والحمد لله ، ولا أعتقد أن في المحلة كلها من يفكر في حرق قلوبنا على ابني (ياسر) ·

* * *

ثم رجعنا الى البيت ، وجلسنا قرب أمي التي راحت تقرأ القرآن وتصلي داعية الله أن يعود (ياسر) باسرع وقت وهو بصحة جيدة ·· أما انا فقد صعدت الى سطح المنزل في عز الظهيرة أبحث عن اثر او دليل او اشارة مهما كانت صغيرة ترشدني الى مكان أخي (ياسر) أو تجعلني أعرف بعض ماجرى ·

لكنني بدل العثور على أثر أو دليل أو أشارة تاخذني الى (ياسر) الحبيب عثرت على ياسر نفسه وهو يمد يديه يريد احتضاني وهو يبكي بدموع نقية ! ولم استطع التغلب على عواطفي وسعادتي ودهشتي ، فصرخت ملء حنجرتي علىأمي وأبي،وأنا اقول انياسر قد عاد الى البيت ، عندها راح أبي وأمي يصعدان السلالم بفرح غامر ـ كانهما في العشرين من العمر ـ بينما ذهبت الى شقيقي ياسر أريد احتضانه فوق صدري وأنا أصرخ فرحا :

ـ اين ذهبت أيها الشقي ؟

لكنني ما أن اقتربت من (ياسر) حتى اختفى من المكان الذي كان واقفا فيه ! وفزعت مما حدث ، كان أبي قد وصل سطح المنزل ، ثم جاءت بعده أمي ، ولما رأوني وحدي ، صرخ أبي مثل مجنون :

ـ اين ياسر ؟ أين ياسر ياطارق ؟

كانت أمي تسألني السؤال نفسه وهي تمسكني من كتفي ، لكنهما صارا يرقبان وجهي والذعر الذي كان مرسوما ومحفورا عليه ، فشعر أبي ان شيئا خطيرا قد جرى ، اقترب مني وسألني بحب كبير :

ـ اخبرنا يا طارق ، ماذا رأيت وماذا جرى ؟

وعندها حاولت أن أمسك أعصابي وأنا أحكي لهما كيف أنني رأيت (ياسر) بعيني ، وكيف انه كان يبكي بدموع جميلة نقية،وكيف انه كان يمد يديه نحوي·· بل كدت أقول لهما أنني سمعت ـ حتى ـ صوته وهو يناديني بأسمي ··

صار أبي يفكر بهـذه القضيـة المعقدة ، بذكاء عظيم وصبر أعظم ، ولم يعد يفزع من أختفاء (ياسر) بل صار يفكر كيف أختفى ولماذا وأين ذهب ·· بل قال لي وهو يحدق في وجه أمي :

ـ ياسر بخير أنا واثق ان ياسر بخير ··

ثم سكت قليلا ، وقال كمن يبكي :

ـ سوف يرجع الينا اليوم أو غدا ، أو بعديومين فقط ·

سألت أبي بشيء من الدهشة الممزوجة بالخوف:

ـ لماذا تقول هذا الكلام ياأبي ؟ ماذا يدور في رأسك عن أختفاء (ياسر) ؟

قال أبي :

ستعرف الحقيقة في وقت قريب · المهم ألا نحزن الآن ·

ولست أدري ، لماذا شعرت بالراحة والاطمأنينة حين سمعت أبي يقول كلاما كهذا ، ،بل ان أمي ـ وهي الحزينة المذعورة ـ مدت يديها نحو السماء وهي تقول (يا رب) ·

* * *

في الليل ، قررت النوم في المكان الذي ظهر فيه (ياسـر) فقد كنت علـى يقين أن شيئا سيحدث هذه الليلة أيضا ، ربما يعود (ياسر) وأستطيع أن أمسكه بيدي حتـى يصدق أبي أن ماقلته صباح اليـوم كان صحيحا ·· وربما تمـر هـذه الطائرة الغريبة التي تشبه المنطاد وأرى ماتفعل ·· المهم أن أكون في هذه

فيها مرة ثانية أمام وجهي ·

لـم أستطع النوم حتى الساعة الواحدة ليلا ، ذهبت الى أبي ، وكـان صاحيا مثلي ، وكذلك أمي ،

سألني أبي :

ـ حاول أن تنام ياطارق ، سيعود (ياسر) أن شاء الله ، وأنا سأنام أيضا ·

ذهبت الى فراشي ، كنت أنظر الى الساعة بين دقيقـة وأخرى ، أنا متأكد أن ياسر كان قد أختفى في الثانية بعد منتصف الليل وأن هـذا الشيء المنير الباهر قـد يظهر من جديد أو يعود بشقيقي الـى البيـت·· مـن يدري ، ربما اكون على خطأ وربما كنت أحلم برجوع (ياسر) ·· لكنني غفوت قليلا وأنا مازلت افكر بهذه السماء الشاسعة الغريبة التيأخذت أخي الى بطونها··

الفصل الثاني

ما ان غفوت بعد وقت قصير ، حتى شعرت بجسدي يتحرك دون أرادتي ، ويصعد الى فوق كما لو أن مغناطيسا يسحبني الى مكان لاأعرفه ، وبعد أقل من نصف دقيقة غمرني ضوء ساطع ورأيت نفسي داخل قاعة مضيئة مزدحمة بالأزرار الكهربائية والخطوط الحمراء المتعاكسة مع خطوط سوداء وأخرى بنفسجية!

لم يكن احد في تلك القاعة سوى شاشة أكبر من شاشة التلفزيون تعطي صورة متشابكة مع خطوط بالألوان نفسها : الأحمر ، الاسود ، البنفسجي .

وكانت القاعة من أرضها الى سقفها الى جدرانها ملونة بهذه الألوان الثلاثة فقط .

* * *



حتى شعرت بجسدي يتحرك دون إرادتي

هذا المكان قبل سنين أو شهور طوال ، لم اكن أعرف
مافعل ، ليس من مكان أجلس فيه ، رغم أنني لاأشعر
بالتعب، انها قاعة خالية تماما، لا أدري الىمتى سيطول
بي المقام هنا وماذا سيحدث لي .. فتحت فمي وأنـا
افكر أن أقول « هل ثمة أحد هنا ؟ » لكنني قبل النطق
بهذه الكلمات ، رأيت الشاشة تتغير بخطوطها وتقول
لي :

– أصبر ياطارق ، بعد قليل ستعرف كل شيء .

بقيت واقفا ، أنتظر بلا معنى ، لكن الخوف بدأ
يتسرب الى قلبي ، بينما الشاشة رجعت تقول لي :

– لا تخف يا طارق ، أصبر قليلا ، لن يؤذيك احـد
انك أمان وسلام .

كيف ينطقون أسمي ؟ من اين لهم معرفة أفكاري
قبل النطق بها ؟أي عالم غريب دخلت فيه ؟ من أي شيء
مصنوع هذا المكان اللغز الغامض العجيب ؟ فـي تلك
الدقيقة رفعت صوتي حتى أقول لهم « من انتم ؟ لـمَ
أتيتم بي الى هنا ؟ ولماذا انا دون بقية خلق الله » ؟ لكن
الشاشة – كعادتها – أجابت عني قبل أن أسأل كل هذه
الأسئلة :

– ياله من عجول ، أصبر قليلا ، الا تعرف معنى
كلمة الصبر ؟ ستعرف من نحن ولماذا جئنا بك الـى
هنا ولماذا أنت دون بقية البشر . ولكن أصبر ياطارق،
وهذا اخر انذار لك ، أسكت وانتظر .

كان الصوت على جانب من القسوة ، ولم يكن

امامي غير الصبر لئلا يغضبون مني ، عندها من يدري
ماذا سيفعلون بي ؟

* * *

بعد قليل ، رأيت على الشاشة رأس رجل لايشبه
رؤوس ابناء الارض ، مساماته من حديد أو شيء يشبه
الحديد ، جبهته عريضة وعالية وفمه مجرد خط
مفتوح بلا شفاه ، واذنيه اكبر ثلاث مرات عن اذن
البشر . أما العيون فهي الشيء الوحيد الذي يبعث
الطمأنينة ويجعلك تشعر بالراحة .. لست ادري ان
كان فوق رأسه شعر كثيف أو شعر خفيف أو بدون
شعر ، فهو يلبس قبعة من نسيج بنفسجي محاط باللون
الأسود ، والأحمر مثل كل شيء في هذا المكان العجيب!
ماان ظهر هذا الوجه على الشاشة حتى قال لي:

– اهلا بك ياطارق الى سفينة « ساروف » ستكون
في ضيافتنا مدة لاتزيد على يومين ونريد أن نخبرك
أن (ياسر) معنا وسوف يعود الى منزلكم بعد قليل..

صرخت عاليا :

– أريد أن أرى ياسر ، انا مشتاق اليه كثيرا ..
أين ياسر ؟

وقبل أن أقول لهم « أرجوكم دعوني أراه » كان
شقيقي ياسر قد ظهر الى جانبي وهو يبتسم ابتسامته
العذبة التي أحبها .. وقبل أن أمد يدي اليه قال الرأس
الذي ظهر على الشاشة :

– لاتمسكه الآن ياطارق ، فهو تحت التجارب

الضوئية ، وهي خطر عليك حتى تمر بها غدا أو بعد غد .

قلت بدهشة وذعر واستنكار :

ـ وهل تؤذيه تجاربكم الضوئية هذه ؟ انه مازال صغيرا كما ترون ، خذوني الى هذه التجارب بدلا عن أخي ياسر ..

ابتسم الرأس على الشاشة ، ابتسامة حديدية لاحياة فيها وقال :

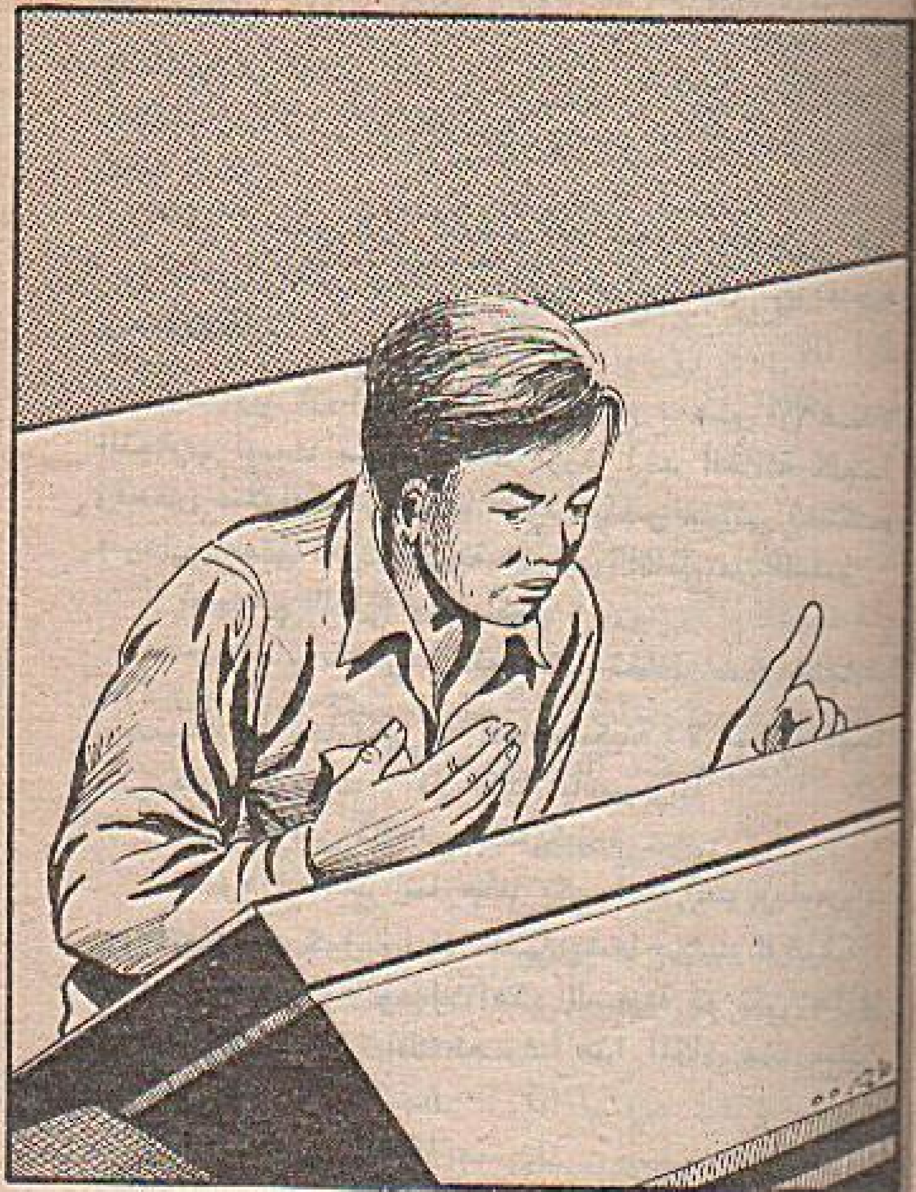
ـ نحن نعرف مانفعل ، كل عمر وله تجاربه الخاصة به ، وقد أخترنا (ياسر) دون بقية الصغار في مثل سنه لأن عقله أكبر من عقل أقرانه ، كما أخترناك أنت أيضا ، كي نعرف التطور البشري الذي طرأ على المخ والنخاع الشوكي وشرايين الرأس المختلفة .. لابد من معرفة أسرار الكون كله حتى نحتفظ بها في أرشيف المستقبل .

قلت بسرعة :

ـ كان عليكم أن تختاروا واحدا من كل عائلة بدلا من ان تقلقوا عائلة واحدة بأثنين من أولادها .. انتم تمزقون قلب أمي وأبي بلا رحمة .

لكن الوجه أجاب باسرع مما نطقت أنا :

ـ انت على خطأ ، (ساروف) لايريد أن يعرف الناس بما يجري ، وأذا أخذنا من كل عائلة نموذجا لدراستنا سيصدق الناس ـ حين يسمعون هذا الكلام منكم فقط ـ بأنكم عائلة خيالية مصيرها الجنون ، لذلك انصحكم بالصمت حين ترجعون الى الأرض حرصا



خذوني الى هذه التجارب بدلًا من أخي ياسر

على سمعتكم بين بقية البشر .. ثم ـ من يدري ـ ربما كانت هناك تجارب من أجرام سماوية أخرى تقوم بأبحاثها في مكان آخر من الكرة الأرضية ، لكننا نعرف جيدا أن بلادكم بعيدة عن اختياراتهم ولذلك جئنا اليكم .

لم أستطع الرد عليه ، فقد شعرت بالحزن على أبي وأمي وأختي وداد ، ولكن الراس قال لي بهدوء وبصوت طيب :

ـ أريد أن أخبرك بشيء مفرح ، هو أن هذه التجارب ليست مجانا ، فقد قررنا أخذ العائلة كلها وفحص خلاياها ، وعندما نعود بياسر ستأتي اختكم (وداد) حتى نعرف طبيعة الجنس الثاني من البشر .

أصابني الفزع وأنا اقول :

ـ ولماذا أختي ؟ انها فتاة تخاف من ظلها ، ارحموها من تجاربكم .. انها مسكينة ولا قدرة لها على هذه المفاجآت . الا يكفي ياسر وأنا ؟

لكن الراس قال لي بثقة كبيرة :

ـ وهل تعتقد اننا جئنا بكما ـ انت وياسر ـ دون أن نحقن كل واحد منكما بشعاع ضد الخوف ؟ الا تتذكر أنك حين وصلت هذه السفينة لم تكن خائفا بل جعلناك تشعر بانك تعرف هذا المكان منذ سنين طوال ؟

* * *

ـذي قال لي وهو بعيد عني مسافة مترين أو تزيد :

ـ كل مايقوله (ساروف) حقيقي ، انهم لايكذبون ـدا ياطارق ، وقد أعطاني وعدا بشراء دراجة هوائية ـونها أحمر وأسود وبنفسجي حتى أتذكر هذا المكان وهذه الرحلة التي لايمكن نسيانها أبدا .

ثم سكت ياسر قليلا وقال بلهفة :

ـ يمكنك أن تطلب منهم ماتشاء ، فقد اختارونا ـن بين ملايين البشر .. سترى أشياء رائعة لايمكن ـصفها لك دون رؤيتها .. تمتع ياطارق فهذه فرصة ـتكرر مطلقا .

لكنني صرخت في وجه (ياسر) غاضبا :

ـ أسكت ، أنت لاتفهم مايجري أبدا ، لقد جعلونا ـسيلة لمعرفة ما يريدون ، وغدا اذا أراد (ساروف) ـذا تهديم الأرض فهو يعتمد على المعلومات التي احدها ـن عقولنا ومن اجسادنا .. نحن وسيلة سهلة لغاية ـدري بها لكنها ضد البشرية حتما .

رأيت (ياسر)يضحك ، بل يتلوى من الضحك ـو يقول بثقة عمياء :

ـ ماذا دهاك يا طارق ؟ اذا أراد « ساروف » ـ يهدم الارض فهو قادر عليها الان وبدون أية مساعدة، ـترى بعد قليل ما رأيته أنا ، وعندها ستفهم قوة ساروف » كما عرفتها أنا .. أنهم لاينكرون بقوتنا ـطلقا ، لكنهم حريصون على معرفة كل شيء في هذا



كدت ابكي وانا ارى دار أهلي والمكان الذي انام فيه.

الكون العظيم لئلا يقعون في خطأ عابر ليس في الحسبان !

* * *

عندها ظهر الرأس – ثانية – على الشاشة وقال بصوت آمر شديد :

– سنعود الى الأرض ، ياسر سوف يخبر أهلك بما جرى ، أما أنت ياطارق فربما تتأخر معنا أكثر من يومين ·· عقابا على ماقلته عنا قبل قليل ، واذا أستمر حقدك هذا – علينا – فقد لاترجع الى الأرض على الأطلاق ·

وفي دقائق ، لاأعرف عددها أو مداها ، كان (ياسر) قد رجع الى دارنا ، بل تعمد (ساروف) كما يبدو أن يجعلني أرى سطح منزلنا وأرى أبي وأمي وهما مازالا في المكان نفسه – وكذلك أختي وداد – دون أن يعرفوا حقيقة ماجرى في هذه الساعة الأخيرة · كدت أبكي وأنا أرى دار أهلي والمكان الذي أنام فيه · لكنني قلت في ذات نفسي (لابد أن يروني قويا ·· انها مجرد ساعات وأعود الى الأرض) ·

الفصل الثالث

بعد أن نزل « ياسر » الى الارض ، شعرت بالراحة رغم انني بقيت وحدي مع هذه الكائنات الغريبة التي لم أعرف طبيعتها ولا خصالها ولا هويتها. اسعدني ان أهلي ـ هذه الليلة ـ سيعرفون مصيري ومكاني على اقل تقدير ·· وان الحزن ـ هذه المرة ـ سيكون أقل بكثير مما كان عليه حين فقدنا ياسر ·

ولكن ، هل كنت أعرف مصيري فعلا ؟ ان هذه الكائنات الفضائية ـ التي تعيش خارج حدود الكرة الارضية بل وخارج ذاكرة الانسان ـ لا نفهم كيف تفكر ولا نعرف أي شيء عن مزاجها وأعصابها وحالاتها

الخاصة ، من يدري كيف يغضبون وماذا يفعلون حين يكرهون انسانا مثلي ؟ كل هذه الاسئلة تصعد الى راسي بلا أجوبة ·· وهذا وحده يكفي أن يزداد حذري وخوفي منهم ·

* * *

بعد دقائق ، وربما بعد ثوان « الزمن في هذه السفينة الفضائية المسماة « ساروف » غير واضح ، وهو ايضا يكاد يكون معدوما بالنسبة لي ، لكن الارقام والخطوط والالوان الضارية للاسود والبنفسجي والاحمر ، كلها تشير الى أنهم مخبولون بالوقت » المهم. بعد دقائق ، فكرت بانني لم أشعر بالجوع ولا بالعطش ، منذ وصولي هذا المكان المدهش الغريب · نظرت الى الشاشة ، لم يكن ثمة أحد ينظر نحوي أو يكلمني ، ليس من صوت ولا صدى ، سكون مخيف ، وأنا متروك مثل كلب أجرب لا أحد يسأل عني :

ـ ترى ماذا يفعلون الان ؟

فكرت : انهم يعاقبونني على الكلام الذي ذكرته أمام شقيقي (ياسر) وانهم ينظرون في أمري ، أو، من يدري ، ربما كان هذا وقت نومهم اذا كانوا يعرفون النوم ·· أما انا ، فمنذ وصولي لم أحس برغبة في أي شيء ولا في أي عمل أو حركة، لا عطش، لا جوع ، لا نعاس ، لا خوف من نوع الخوف الذي نحسه على كوكبنا ، كانني لست ذاك الـ(طارق) الذي يصرخ جوعا كل ست ساعات ، والذي يشرب الماء في الصيف أضعاف ما يشرب في الشتاء ، بل انني كنت

أحب النوم ، وكان أبي يضحك مني ويقول عني (بأنني شاب عجوز) رغم انني لم أصل العشرين من عمري .

رحت أنظر حولي ، اكتشف المكان من جديد ، ان أرض السفينة الفضائية ليس من حديد وليس من خشب وليس من أية مادة أعرفها أو مسكتها بيدي طوال حياتي ، انها نوع من الذهب الممزوج بالاعشاب الخضراء أو هي أعشاب تحتوي ذهبا لامعا يضرب اللون الممزوج الى لون شبيه بالاحمر وليس أحمرا ، ثم يعطي لونا بنفسجيا وهو ليس كذلك .. حتى اذا أتعبك النظر الى كل هذا توهمت – أيضا – ان اللون لم يكن غير اللون الاسود ، لكنك في كل حال لا تقدر على مسك تحديد بعينيك وتحديد معدنه أو حقيقته أبدا .

احتار عقلي في الجدران كما احترت في أرض السفينة (ساروف) وتركت أمر المكان كله ، فليس من السهل معرفة أسرار هذا الشيء العجيب دون الوقوف على معلومات خاصة ليس اخرها المعادن وليس أولها الكيمياء ، وماذا يفعل شاب في مثل عمري حتى يعرف هذا الجهاز الخرافي الذي هبط من نهايات السماء ؟

* * *

في تلك اللحظة ، وانا افكر بما جرى ، سمعت الشاشة – وهي دون رأس ولا وجه محدد – تقول لي :

– لقد عفونا عنك يا طارق ...
ورأينا أنك طيب القلب وانسان له مستقبل جيد ، وان ما قلته عن ابناء كوكبنا يأتي من باب الافتراض غير المتعمد .

ثم تدريجيا، ظهرت على الشاشة صورة امرأة، الغريب انها تشبه النساء الارضيات، تبتسم مثلهن، وتتكلم مثلهن بل اوهمني عقلي انني سبق لي وأن رأيتها في مكان ما ومناسبة ما .. وكان ظهورها قد خفف من حدة غضبي وحيرتي وحذري وضجري معا .. بل رحت ابتسم أمام الشاشة ناسيا همومي وآلامي ..

قالت هذه المرأة حال ظهورها على الشاشة :

– اهلا بك يا طارق ، سترجع الى الارض بعد وقت قصير ، ونرجو أن تطلب منا ما شئت ، أنت تستحق منا هدية ، تختارها بنفسك ..

بصراحة ، شعرت بسعادة تفوق تصوري واحتمالي ، حين سمعتها تقول بأنني ساعود الى الارض ، وفجأة ، تذكرت هذا الوجه ، انها المذيعة (نادية حسيب) أشهر مذيعة في التلفزيون ، ترى كيف جاءت الى سفينة الفضاء وانا اتذكر بأني رأيتها قبل اقل من أسبوع واحد تقرأ نشرة الاخبار ، بل ما زلت أذكر الخبر الطريف عن سرقة خمسين مليون دولار من أحد بنوك أميركا .. والذي ذكرته نادية حسيب وهي تبتسم في وجوه المشاهدين ، ودون وعي مني ، صرخت :

– لقد تذكرتك الآن يا سيدتي ، أنت نادية حسيب ، ولكن ، انا رأيتك قبل أيام في التلفزيون ..

قالت نادية بلا تردد :

– هذا صحيح يا طارق ، انا نادية حسيب وقد اختارني « ساروف » للعمل معه على هذه السفينة الفضائية ، ووافقت بسرعة ، أنت لا تعرف العالم الباهر المدهش الجميل في كوكبنا العظيم ، واذا عرفته ستطلب البقاء الى الابد !

كاد رأسي يدور من فرط الدهشة والاستغراب ، انها تستخدم كلمة (كوكبنا) ناسية انها من جنس البشر ومن أهل الارض ، ولم أستطع اخفاء هذه الدهشة ، وأنا أسأل بلهفة مثل طفل صغير :

– أي كوكب تعيشون عليه ؟ ثم ، اخبريني ، كيف تكونين هنا وتظهرين على شاشة التلفزيون ؟ أريد أن أعرف يا سيدة نادية .

ضحكت نادية وهي تقول بصوت دافيء :

– لقد جئت الى هذا الكوكب منذ سنة ارضية واحدة ، يعني منذ ثلاثة أيام بحساب كوكبنا ، أما التي تظهر في التلفزيون – عندكم – فهي امرأة ثانية من صنع أيدينا وقد أعطيناها اسمي وملامحي ، أما اسم الكوكب الذي ستراه قريبا جدا فهو كوكب « زامرون » أقرب الكواكب الى كوكب المريخ ، اذ يبعد عنه مسافة مليون كيلومتر فقط .

* * *

عندها شعرت بالتعب حقا ، من هذه المعلومات، وتمنيت لو انني لم أسألها ، فقد اختلط علي ما يجري في هذا الكوكب الواسع ، لكنها راحت تخبرني بأشياء عجيبة لم اكن قد سألتها عنها ، حيث اخبرتني ان هناك الكثير من البشر من صنع كوكب زامرون وان هذه المسألة من أسهل ما يفعله « ساروف » قائد الكوكب والذي انشأ هذه السفينة المسماة باسمه ، بل قالت لي أن العديد من الرجال المشهورين والنساء المعروفات مجرد (دمى) صنعوها في كوكب زامرون من لحم ودم وأعصاب وبعثوها الى الارض للتسلية وقضاء الوقت مثل بريجيت باردو وارسولا اندرس وسلفادور دالي ومارلين مونرو وفريد شوقي ومحمد علي كلاي وغيرهم .. وان بامكان « ساروف » أن يجعلني ما أشاء (اذا رضي عني) واذا شعر انه استفاد من تجاربه معي !

* * *

لا ادري لماذا فكرت في حينها أن أصبح واحدا من المشاهير ، مطربا او ممثلا ، أو سفيرا في واحدة من المدن الجميلة الصاخبة مثل باريس او هسنكي او مدريد او نيويورك لكنني تركت هذه الاحلام وانا أصغي الى (نادية حسيب) التي نطقت بأشياء كثيرة ليست اقل غرابة من صنع بشر مزيفين وتصعيدهم الى أعلى مراتب الشهرة والكمال لتسلية بقية البشر أو ربما لتسلية (ساروف) نفسه وتسلية أبناء كوكب زامرون الذين يشاهدون كل ما يجري في الارض عبر الشاشة

البنفسجية على القناة ٢٧ . وقد أخبرتني نادية حسيب، ان اخي ياسر قد رأى كافة أجهزة « ساروف » لكنه صغير السن ولم يطلب منهم سوى دراجة هوائية تذكره بهذه الرحلة الغريبة .. ثم قالت انه حال وصوله الارض سيجعلونه ينسى كل ما رآه وانه سيخبر أهله انك بخير ، ثم نغلق عليه حواجز الذاكرة بشأن رحلته هذه ، تماما كما سيفعلون معي ..

كنت أسأل نادية حسيب وقد احتار عقلي فيما أسمع :

ـ وهل أنت سعيدة هنا ؟ ألا تشتاقين الى أهلك وصديقاتك والناس الذين تعرفينهم منذ طفولتك ؟ أنا شخصيا لا أكاد أصبر على فراق أصدقائي وأهلي ليلة واحدة ...

قالت نادية بسرعة كأنها جهاز مملوء بالمعلومات الجاهزة والاجابات الثابتة :

ـ اذا طلبت أن أراهم ، يأتي بهم نواب «ساروف» على هذه الشاشة وأعرف ما جرى لهم ، ثم تذكر يا طارق انهم سيموتون جميعا بينما أبقى أنا حية لا أموت ، فقد أخبرتك ان السنة الارضية ليست الا ثلاثة أيام على كوكب زامرون .. وكل شهر هنا يعادل عشر سنوات في أرضكم المسكينة ، وان السنة الواحدة هنا تساوي عندكم مائة وواحد وعشرين سنة، تصور يا طارق معنى أن تعيش ألف سنة بلغة أهل الارض ؟

* * *

أرعبني ما تقوله نادية حسيب عن الزمن .
وتمنيت أن أعرف المزيد من اسرار هذا الكوكب المسمى « زامرون » لكن نادية اختفت عن الشاشة دون سلام، وجاءني صوت خشن ـ لم اسمعه من قبل ـ يقول :

ـ سترى السفينة أولا ، وبعدها نأخذك في جولة قصيرة الى كوكبنا الباهر .

ثم قال الصوت بعد صمت قصير :

ـ يمكنك الان أن تمشي بأي اتجاه تحب، جسدك منذ الان سيخترق الحواجز حتى ترى سفينة ساروف كلها ..

لم أصدق ما قيل لي ، كيف يمكنني الدخول والخروج من هذه الجدران الفولاذية السميكة الرهيبة وانا مجرد انسان من لحم ودم ؟ تذكرت شخصية (كاسبر) في أفلام كارتون وضحكت على نفسي : (هل تراني أصبحت مثل كاسبر أخترق الجدران وجذور النخيل وأغوص تحت الارض أو أطير في السماء بلا موانع أو رقيب) ؟ اذن ، ساجرب هذا الحال العجيب المستحيل الذي لم يكن من نصيب أحد قبلي .

جاء الصوت من جديد وهو يقول بصوت أعلى:

ـ لماذا بقيت واقفا ؟ لا تخف ، كل الممرات تحت أمرك .

ومشيت الى يمين المكان ، لكنني رغم انفي ورغم ارادتي وقفت حين وصلت الجدار المتين القوي المتماسك (كيف سأدخل هذا الجدار بملابسي ولحمي ورأسي

هذا دون أن أموت او اقع مغميا علي ؟) .

لكن الصوت ، جاء قويا هذه المرة وهو يقول بحزم وصرامة ، بل وبقسوة أيضا :

ـ امش يا طارق ، بلا خوف .. انها تجربة حلوة بالنسبة لابناء البشر وأنت المختار من بين ملايين يتمنون هذه التجربة المعجزة .

هذه المرة دفعت نفسي ، وقررت أن أمر من هنا مهما كلف الامر ، لكنني قبل أن أستمر في التفكير كنت قد وصلت الجانب الثاني من المكان دون ان يمسني أي مكروه ... وكم تمنيت عندها أن يراني اهلي واصدقائي وانا اكسر طوق المستحيل وأفوت بجسدي هذا من جدار الى جدار !

رايت سفينة ساروف ، وتذكرت ما قاله (ياسر) بانهم يملكون قوة تكفي لتدمير الارض بلا مساعدة وبدون معونة احد منا .. اذن ، لماذا يفحصون عقلي وطبائعي ومساماتي وأفكاري وأنا مجرد انسان بسيط لااختلف عن غيري من البشر ؟ لابد أن هناك سرا لايفهمه شاب في مثل عمري ،أو أنهم يريدون الوصول الى شيء معين في الأرض عن طريق البشر وربما استخدموني دون علمي وسيطا لتحقيق اخباراتهم المرعبة ، او رسولا الى شخصيات كبيرة بصورة غير مباشرة .

* * *

كانت سفينة « ساروف » وحدها ، عبارة عن ترسانة للسلاح النووي والنيتروني ، وكانت هذه السفينة تساوي مدينة في مساحتها وبما تحتويه من آلات ومدمرات و.. وشخوص !

نعم ، كان كل واحد يراني ، يستغرب شكلي وشعر راسي وملابسي ، سيما وانني جئتهم بالبيجامة حيث كنت نائما واختطفوني من سطح منزلي .. أما هم فقد كان كل واحد منهم عبارة عن نسخة كاربونية من الثاني ، وفهمت أنهم يعرفون بعضهم البعض بالرموز والأرقام المعلقة على الصدر .. فهذا رقمه (٥٣٥) وذاك رمزه (أس٨) ويختلف البعض عن البعض باللون ، ويبدو أن صاحب اللون الأسود اكثر خطورة واعلى مكانة من صاحب اللون البنفسجي ، أما صاحب اللون الأحمر فهو شامخ الرأس ومغرور .. لكنني على ثقة انهم يعرفون كل واحد بلونه ورقمه ورمزه ، فهذا العدد الكبير المتشابه منهم لا يمكن معرفته دون اشارة أو باج أو ذبذبات بعينها تطلبه عند الحاجة !

* * *

ورغم انهم صدموني في الطريق عدة مرات الا انني لم اكن اشعر بشيء ، فقد كان جسدي يخترق كل شيء حتى أجسادهم التي لم أعرف من أي شيء كانت مصنوعة ، فهي تبدو ثقيلة للغاية ، لكن حركاتهم السريعة وعدم وقوفهم في الطرق والممرات والزوايا

توحي أن أجسادهم هشة وغير ثقيلة ، لكنهم على اية حال ينظرون الى امام وليس من شيء يدفعهم للوقوف والنظر الى الخلف مهما كان السبب ، الا اذا جاءت ذبذبة كهرومغناطيسية معاكسة تتعلق بواحد منهم أو بتغيير طارىء يتعلق بحادث مفاجيء ، عندها يقف برهة ثم يمشي الى حيث جاءت تلك الذبذبة .

أخذت افكر في مصير الأرض ، وأنا أشاهد كل هذه العجائب والالات الغريبة ، ماذا يكون حال الجيوش والأسلحة الأرضية ازاء هذا التطور والتقدم الفائق الذي توفر لهؤلاء الفضائيين ؟ ماذا تنفع الدبابات والمدافع والطائرات والقنابل المتطورة بل وحتى القنبلة الذرية مع هذا الصنف غير المعقول من أجناس الفضاء ؟

صدفة ، وأنا أمشي في طرقات سفينة ساروف ، رأيت نادية حسيب وهي تمشي في نفس طريقي كأنها ظهرت من العدم .. أسرعت اليها وقلت مبتسما :

– انا سعيد برؤيتك في هذا المكان البعيد .

نظرت الي ومدت يدها تصافحني وهي تقول :

– أهلا ياطارق ، ماذا تفعل ؟

– أرى سفينة ساروف وعجائبها ، وقد قيل لي بانني سأرى كوكب زامرون .

قالت نادية وهي تمشي :

– حقا ، فقد سمعت انهم يرغبون بذلك ، كما ان تجاربهم معك تحتاج الى وقت آخر .. أنت أفضل

تجربة حصلت عليها كما قال ساروف .

قلت لها بدهشة :

– ماهي هذه التجارب ؟ انهم يتركونني وحدي كما أنا الآن ولم يأخذني أحد منهم الى مشرحة أو جهاز كهربائي أو أي مكان للفحص على جسدي وعقلي ؟ فأين هذه التجارب ومتى ستبدأ ؟

ضحكت نادية حسيب وهي تقول :

– هل تعتقد أنك في كوكب الأرض ؟ انهم – هنا – لايحتاجون الى وسائل البشر العادية في الفحص على الكائنات ، الأجهزة الخفيفة تقوم بدورها دون علمك أنت ، انهم يسجلون كل كلمة تنطق بها وكل حركة تقوم بها وكل شهيق تتنفسه ياطارق !

نظرت حولي وأنا أمشي مع نادية حسيب ، كم انا معجب بهذه المرأة الجميلة كلما كانت تظهر في التلفزيون ، لكنها قالت بعد قليل :

– لابد لي من الذهاب ، عندي عمل في أجهزة المستقبل ، تمتع أنت برؤية السفينة حتى أراك ثانية .

وعندما ذهبت نادية ، رحت أراقبها حتى اختفت ولست أدري لماذا شعرت – على حين غفلة – بأنها ليست نادية حسيب المذيعة المعروفة ، فقد كانت مشيتها مستقيمة جدا وآلية جدا حتى حركة يديها كانت أشبه بجندي (بلغاري) يحرس مقبرة (ديمتروف) .. هل تراني أتخيل أو أتوهم ؟ من يدري ، ربما تغيرت طباع هذه المرأة حين جاءت الى هذا الكوكب المذهل ، وحين اشتغلت معهم في هذه

السفينة العملاقة ؟ من أين لي معرفة الأسرار كلها ؟!

* * *

كان أعرف انهم يراقبون حركاتي وأفكاري . لولا هذه المراقبة لكان بامكاني حرق هذه السفينة أو تدميرها على مراحل ، لكنهم ـ كما قالت نادية أو كما حذرتني ـ يفهمون ما يدور ويراقبون كل شيء بأجهزة خفيـــة دقيقـة لاتخطيء ابدا .. ياللرعب اذا وصلت جميع افكاري اليهم ، فهذا يعني الموت حتما ..

لكنني رغم هذا كنت أزداد أشتياقا لرؤية كوكب « زامرون » ترى كيف يكون شكله اذا كانت هـــذه السفينة واحدة من ممتلكات هذا الكوكب اللغز ؟ حتى انني لم اقرأ عن هذا الكوكب العجيب في دروس العلم والمعرفة ، ولم أعثر عليه بين المجرات وأسماء الكواكب المشهورة ، مثل المـريخ والزهـرة أو المشتري ، بـل سمعت أغرب أسماء النيازك والأجرام والشهب التـي تمخر عباب الفضاء ، ولم يرد اسم « زامرون » لافـي ذاكـرتي ولا فـي معلومات أصدقائي أو فـي قصص المدرسين الذين يحكون لنا أغرب الغرائب .

* * *

على اية حال ، السماء مازالت غامضة بالتأكيد ـ علـى أعظم علماء البشريـة وليس مـن السهل ان نعرف أسرارها كلها في هذه السنين القليلة من البحث والكشف عن ألغازها الكثيرة !



دخلت الى قاعة مستطيلة لم تصل عيني الى نهايتها .

- دخلت الى قاعة مستطيلة لم تصل عيني الى نهايتها ، فقد غمرها ضباب كثيف ، داخل هذ الضباب رأيت مايشبه الصواريخ المدببة ، كأنها جاهزةللانطلاق في أية لحظة .هذه الصواريخ برؤوس حمراء وسوداء وبنفسجية .. حقا ، لم أعرف سر هذه القاعة لولا هذا الصوت الذي جاءني من سقف القاعة يقول لي :

- كل أسلحة الارض لا تساوي شيئا ازاء ما ترى، هذه الرؤوس الحمراء يمكنها أن تغطي وجه الارض بسائل ترابي سام يكفي أن يستنشقه الانسان حتى يعجز عن فعل أي شيء ، أما تلك الرؤوس السوداء فهي تكفي أن تمسح المحيطات والبحار والأنهار من مياهها حتى لا تبقى نقطة ماء واحدة للشرب .. لكننا كما ترى نملك هذه الرؤوس البنفسجية، ولانستخدمها الا في حالات السلم الذي يأتي بعد الحرب ، حيث يمكننا اعادة المكان الى طبيعته الأولى مهما كانت الخسائر التي تسببنا فيها !

صرخت بصوت مسعور :

- وماهذا الضباب الذي يغطي المكان ؟

أجاب الصوت بلا أي انفعال :

- هذا ليس ضبابا ، انها مادة خاصة تحمي اسلحتنا من الصدأ أو الخراب ، وهي كما ترىأسلحه باقية منذ سنين طوال ولاندري متى سنضطر لاستخدامها ، لكنها جاهزة ، وهذا هو المهم بالنسبه لحماية زامرون .

شعرت بالرعب وأنا أقول :

- أهل الارض لا يستحقون هذه الحروب ، انهم مسالمون ، لماذا التفكير بالحرب منذ الآن ؟ انهم - حتى اليوم - لا يدرون بكم وليس من السهل الاقتراب منكم ابدا ..

قال الصوت كمن يضحك :

- من حق كوكب « زامرون » أن يحافظ على كيانه ، ثم من قال لك ياطارق اننا سنحارب الأرض ؟ السماء مزدحمة بالكواكب التي تنافسنا وتحاول التغلب علينا واستغلال معلوماتنا الخطيرة .. اننا نفكر بهذه الكواكب ولانفكر بكم مطلقا .

ثم اختفى الصوت وبقيت وحدي ، أنظر وأمسك بأصابعي هذه الصواريخ الجبارة حتى اقتربت من الرؤوس البنفسجية ، فشعرت بالحب لها ، فهي أسلحة السلام الوحيدة في هذا المكان المزدحم بالرعب والهلاك !

الفصل الرابع

بعد وقت قصير ، سمعت همسا عبر الجدران ، لم اعرف من أين ياتي ، وكيف تسرب نحوي دون أن يعلموا ، قال الصوت الاول :

ـ هل نعيده الى الارض ونأخذ أخته وداد بدلا عنه ؟

اجابه الصوت الثاني :

ـ لكن تجاربنا مازالت ناقصة ، وعلينا أن نعرف ماجرى لشقيقه (ياسر) بعد رجوعه الى الارض ..
هل نسيتم ان المواد المتسربة الى جسمه تحتاج الى أسبوع ارضي واحد حتى تظهر النتيجة ؟

قال صوت آخر :

ـ لا اعتقد اننا نحتاج الى احد حتى تظهر نتيجة فحص (ياسر) و (طارق) ، والآن لابد من الفحص النهائي على طارق في كوكب زامرون .

* * *

بعد دقائق في حساب زمني أنا ، رأيت شاشات السفينة كلها وثغورها الخفية غير المرئية تقول بصوت واحد :

ـ ساروف يصل زامرون ، الرقم صفر ، تهيأ ، ساروف يصل زامرون ، الرقم صفر ، المسالك مفتوحة ، ساروف يهبط .. الرقم صفر ، ابتعد عن المدرج ، أبتعد عن السفينة ، بقية الارقام تستعد للطواريء .. ساروف يتكلم ..

لاأدري لماذا شعرت بقشعريرة في جسمي ،، أنني أهبط على كوكب زامرون ، وبعد قليل سأرى هذا الكوكب العجيب ، سمعت صوتا انثويا يقول :

ـ زامرون ، الباب البنفسجي جاهز للدخول الى المركز ، الضيف يتفضل مع الرقم ٩٠٩ب زامرون يرحب برجوع ساروف ، الرقم ٩٠٩ب جاهز تماما .

عندها رأيت رجلا فضائيا يتقدم نحوي ويشير بأدب الى المدخل البنفسجي الذي سيأخذنا الى مركز الكوكب « زامرون » فتبعته بلا كلام وأنا مازلت اشعر برجفة تشبه الكهرباء في جسدي كله .

قال الرجل الفضائي ٩٠٩ب وهو يحني قامته على طريقة البشر :

- بمناسبة دخولك كوكب « زامرون » عليك أن تأمرنا بما تريد ، هدية للذكرى تبقى معك الى آخر العمر ، أي شيء تريد سيكون جاهزا لديك في منزلك الأرضي عندما تعود ٠

رحت أفكر في شيء غريب أو شيء ثمين - لاوجود له في الأرض - يذكرني بهذه الزيارة التي لاتشبه كل زيارات الدنيا ، فكرت عشرات المرات ، بل مئات المرات عساني أصل الى شيء غير موجود اتباهى به أمام أصدقائي في المحلة ، وأخيرا ، عثرت على الشيء الذي أريد ٠٠ قلت لهم :

- أريد منكم ساعة يد وفيها راديو حتى أسمع أخبار العالم وأغانيه وأعرف الوقت أيضا واذا كانت غالية .سأختار غيرها ٠

قال الرجل الفضائي :

- هذه الهدية أبسط ما يكون، ستراها جاهزة حين رجوعك الى الارض ، وعليك الان أن تتفضل لرؤيةكوكبنا الجميل ٠ كما أحب أن أذكرك أن هذه الهدية لاعلاقة لها بالخير الذي سيعم على عائلتك كلها يومابعد يوم حتى لايشعر بكم أحد ٠

* * *

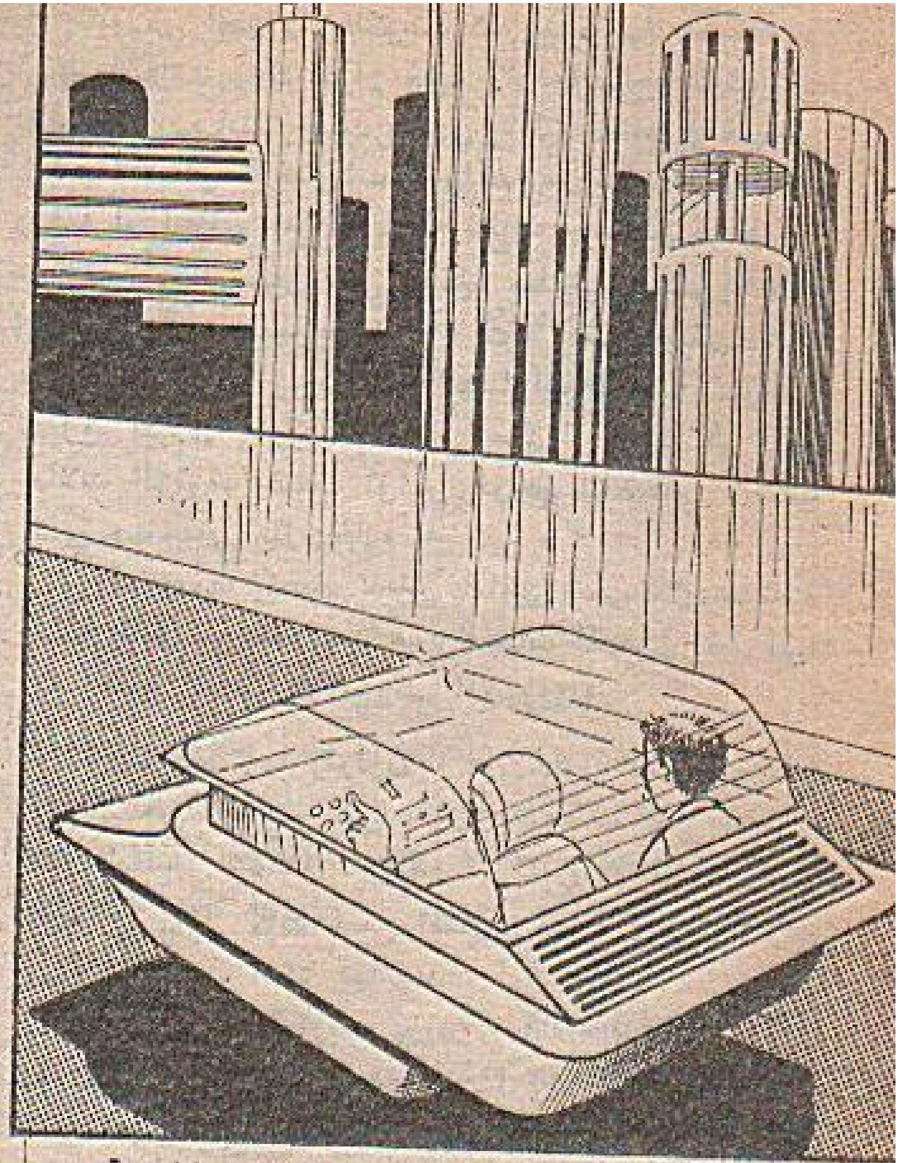
دخلت كوكب زامرون ، لم أصدق نفسي ، كيف يمكن خلق كوكب كهذا في ربوع السماء حتى في ألف سنة ؟ هواء نقي ليس فيه من أثر لدخان أو روائح مصانع سيئة ، عمارات مدورة لاتشبه عمارات أمريكا أو اليابان ، بعض هذه العمارات غير مسنود على شيء

بل طائر في الهواء ، الكوكب كله يشع بلا أضواء ، أو ربما كانت هناك أنوار خفية لاأراها بالعين البشرية، لكن المكان - أينما وليت وجهي وأينما دخلت أوخرجت - نظيف لا أثر فيه حتى لذرة واحدة من تراب او مناديل ورقية او اعقاب سكائر ، انه نظيف بصورة غير معقولة ، كنا نسير على مركبة مطاطية تمشي بالطاقة المغناطيسية ، وطبعا بدون اطارات ، حتى سائقها لا يمسك مقودا لها - كما في السيارات العادية - وانما يديرها بأزرار ملونة تأخذها شمالا أو شرقا أو في حالات الوقوف حسب أوامر الرجل الفضائي ٩٠٩ب الذي صاحبني مثل خادم ٠

ثم مررنا بنصب خطير شاهق أعلى من عمارة بمائة طابق ، سألت عن هذا النصب المدهش فقيل لي: انه نصب المقاتل الزامروني المجهول !

وفوجئت بما يقولون ، هل حارب أهل هذا الكوكب في السابق حتى يكون عندهم - كما عندنا - هذا النصب الشاهق لموتاهم ؟ لكنني سمعت الرجل الفضائي يقول كأنه سمع أفكاري فراح يجيب على أسئلتي التي لم أنطق بها بعد :

- زامرون حاربت مرتين ، كانت أول حرب لنا قبل ثلاثة الاف سنة (فضائية) مع كوكب (سارلي) الذي احترق بكل من فيه ولم يبق منه سوى مانملكه من اثار في متحف (زامرون) ٠٠ والحرب الثانية قبل ألف سنة مع الشعاع الغازي الملوث الذي خرج علينا من الشمس ، ولم نكن وقتها نملك السلاح



كنا نسير على مركبة مطاطية تمشي بطاقة مغناطيسية.

المضاد لهذا الشعاع الذي هشم اجزاء كبيرة من كوكبنا الجميل ، ومنذ الحرب الثانية صار علينا ان نعرف جميع الاعداء ونحيط علما بما يملكون وبما سيملكون !

قلت له بشيء من الخوف :

ـ وهل ترون في أهل الارض أعداء لكم ؟

أجاب بسرعة اذهلتني :

ـ نحن لا نفرق بين كوكب واخر ، مهما كانت المسافة قصيرة أو بعيدة ، المستقبل غامض جدا ، وأجهزتنا الخاصة تقول « الثقة ممنوعة منعا باتا » ولهذا السبب نقوم بدراسة كل شيء ما يخطر وما لا يخطر على البال حتى لا نخسر أي شيء من كوكبنا الذهل الذي نحبه جدا ·

في تلك الثانية كنا نمر في شوارع مزدحمة بالزهور والنخيل واشجار البرتقال ، بل رأيت نخيلاً لا يشبه نخيلنا وزهورا لا تشبه زهورنا ، قال عنها الرجل الفضائي :

ـ كل ما تراه في هذا الشارع هو من ابداع اهل الارض ، وقد سرقنا فكرة النخيل وزراعة الزهور من البشر ، وعندنا الكثير في كوكب « زامرون » من ابداع كوكبكم ، ونحن ننظر الى الارض على انه الكوكب المسالم الوحيد بالنسبة لنا ، فهو يحارب بعضه البعض ولا وقت لديه في التفكير بكواكب أخرى، لكننا لا ندري ماذا سيفعل كوكب الارض بعد عشرة الاف سنة مثلا ، ولهذا رفعنا شعار « الثقة ممنوعة

منعا باتا » التي يكررها قائدنا « ساروف : أسطورة زامرون الذي لا يخطيء أبدا » .

* * *

أدهشني كل شبر من (زامرون) وعندما أوصلوني المكان الذي سأعيش فيه بقية اليوم أعطوني شرابا لم أذق مثل طعمه اللذيذ طوال عمري ، بل ، لم أصدق ان الدنيا كلها تملك مثل هذا الطعم الشهي الذي يشبه الكاكاو ممزوجا بطعم الاناناس ومعصورا عليه رحيق الجوافة زائدا قطرات من البرتقال والموز وماء الورد .. كما ان هذا الشراب يشبه رائحة التفاح المغلف بالياسمين !

لم أستطع اخفاء دهشتي وشعوري باللذة ، فقلت لهم :

ـ سبحان الله ، هذا أغرب شيء عندكم رغم انه ابسط شيء في الوقت نفسه ..

ولاول مرة ـ منذ اخذوني من سطح منزلي ـ شعرت بهم يبتسمون ، بل ويضحكون ، فقد كان كلامي ـ كما يبدو ـ مضحكا بالنسبة لهم ، وقد أعطاني أحدهم المزيد من هذا الشراب ، وكنت في كل مرة اشكرهم على ما يفعلون .

بعد هذه الضيافة الرائعة ، تركوني أرتاح في غرفة زاهية ، وقد قالت الشاشة المعلقة في وسط الغرفة :

ـ سترتاح بعض الوقت ، ثم تاتي سفينة ساروف حتى تأخذك الى بيتك ، نحن نشكرك على ما فعلته من

أجل (زامرون) وسوف تصلك الهدية في أقرب وقت، كما اننا بدأنا منذ الليلة بتحسين أوضاع العائلة .

ترى ، ماذا فعلت من أجل كوكب « زامرون »؟ ولماذا يشكرونني دائما ؟ هل أخطأت في حق (الارض) واعطيتهم معلومات خطيرة دون علمي ؟ وكيف يمكنني معرفة الجواب على هذه الظنون التي صارت توجعني وهم لا يخبرونني باسرارهم الا ما يريدون كشفه من أمور بسيطة ..

جاءني في تلك الساعة ، صوت نادية حسيب وهي تقول :

ـ هل أنت مشتاق للرجوع الى الارض ، أنا أيضا أشعر بالرغبة في الرجوع .

* * *

نظرت الى الشاشة وهي تبث على مساماتها وجه نادية حسيب ، وللمرة الثانية افكر « هل صحيح أن هذه المرأة هي المذيعة نادية حسيب نفسها » ؟

كل شيء حولي مزدحم بالشك ، لكن ماذا يمكن لانسان في مثل عمري أن يفعل ؟ بل من يصدقني حين رجوعي الى كوكبنا الأرض اذا حكيت لهم عن هذا الكوكب الخطير ، المملوء بأحدث وأخطر الأسلحة الكونية ؟ سيقولون عني وعن عائلتي بأننا عائلة مجانين ، ومن الخير ـ كما قيل لي ولشقيقي ياسر ـ أن نرى ونسكت ، سيما وانهم سيبعثون لنا بهداياهم ذكرى هذه الرحلة، ولاأدري ـ أيضا ـ ما ينوون فعله من أجل رفاه عائلتي ؟ كما أنهم مستعدون ـ حتى

هـذه الدقيقـة ـ لتنفيذ رغباتي اذا أخبرتهـم بشيء ، لكنني مازلت أعتقد ان هذه الرحلة الغريبة هي أكبـر ماحصلت عليه في حياتي ، وليس من السهل علـى كافة أبناء البشر النفاذ الى ربوع السماء ورؤية هذا الكـون الساحر العجيب الـذي يحتوي علـى أجمل الأسرار وأعظم المناظر وأغرب طبيعة يمكن أن تراها العين البشرية ..

* * *

ان اختيارهم عائلتي دون بقية العوائـل هبـة طبية لااريد نكرانها أبدا ، رغم أنني مازلت أخاف على أختي (وداد) فهي لاتشبهنا وليست قوية بما يكفـي حتى تتمكن من التمتع بهذا السحر الغامر وهذا الجمال المستحيل .

نظرت حولي ، في أرجاء الغرفة كلها ، كمـا نظرت فـي السابق الـى سفينة (ساروف) وشوارع زاميـرون ،وأدهشتني ان الوان البنفسجـي والاحمـر والاسود تطغي على كل شبر وكل بناية وكل شيء في هذا الكوكب الشاسع المذهل ... ولم أفهم أو اكتشف السبب وراء اختيارهم هذه الالوان الثلاثـة .

مشيت في الغرفـة ، اقتربت من الشاشة ، مددت اصبعي الى أزرار ناعمـة أسفل الشاشة ، ودون أي تعمـد كنت قـد مددت اصبعي علـى اللون الأحمر ، فظهرت على الشاشة بحيرة حمراء تشبه الدم البشري يظهر بخارها عاليا وهناك من يرمي برجال الفضاء الى هذه البحيرة ويأمرهـم بالموت أو الموافقـة علـى اراء

(ساروف) .. شعـرت بـالخوف ولـم أعرف ماذا سيفعلون بي ان اكتشفوا مارايت !

قلت في نفسي : لابد من تغيير هذا المشهد مهمـا كلف الامر خوفا من أن يرمـوا بـي الـى هـذه البحيرة الرهيبة القاتلة . مددت اصبعي الى اللون الاسود وتمنيت أن أغلق الشاشة ، لكنني رأيت ماهو اكثر رعبا ، فقد كان هناك ممر طويل اسودا مرعبا وبعض رجـال الفضاء مطوقون بسلاسل فولاذية يصرخون من وجع لم افهم سببه ، لكنهم بين وقت وآخر يتناثرون أشلاء ويأتـي جهاز اسود يأخذهم ويرميهم وراء حاجز اكثرسوادا (لابد انه من مادة المغناطيس شديد الجذب) دون أي اهتمام او احساس بما يدور .

* * *

صار علي أن أنقذ نفسي من هذه الورطة الكبيرة التي انزلقت اليها دون ارادتي ، أية حماقة دفعتني الى اللعب بهذه الازرار المقيتة ؟ ان رجال الفضاء أو أبنـاء كوكب (زامرون) بالذات يعيشون حياتهم بلا عواطف، ويبدو انهم يزدادون قسوة حتى أنفسهم بعد الحروب التي خاضوها قبل ثلاثـة الاف سنة مع كوكب (سارلي) وقبل الف سنة مع الشعاع الغازي الذي جاءهم من الشمس !

تذكرت ـ فجاة ـ ان اللـون البنفسجي هـو لـون السـلام فـي كوكـب زامـرون ، مـددت اصبعي عليه ، حتى تختفي تلك الصور البشعة التـي رأيتها قبل قليل ، وفعلا ، رحت أرى على الشاشـة



شعرت بالخوف ولم اعرف ماذا سيفعلون اذا اكتشفوا مارأيت.

كرنفالا صاخبا على طريقة أهل الأرض ، رقص وغناء وانغام يفرزها الكومبيوتر تشبه مايعزفه البيانو لكن باصابع من حديد ، فقلت مع نفسي محتارا :

– هذا احسن ، حتى اذا رآني واحد منهم وأنا اشاهد هذا الجانب من حياتهم وأسرارهم لن يقول أو يفعل بي أي شيء .

لكنني بعد دقائق قليلة ارعبني وكاد يقتلني ماجرى ، حيث رأيتهم يدخلون الغرفة بملامح قاسية ، تماما كما الوجوه التي رأيتها على القناة الحمراء وفي أيدي البعض منهم سلاسل فولاذية من نار كما السلال التي رأيتها على القناة السوداء !

رجعت الى الوراء ، صار الخوف يلاحقني في كل جزء من جسدي ، كنت أردد بلا وعي متي كلمات لاأدري كيف نطقت بها :

– انا لم افعل شيء، انا لم افعل شيء. ماذا جرى؟ ماذا بكم ؟ لكنهم يقتربون مني ، تذكرت البحيرة الحمراء واشلاء بعضهم وهي تتناثر في الفضاء وازداد الذعر في رأسي حتى أنني اغلقت عيني وبدأت اذكر أسم الله سبحانه وتعالى : أن ينقذني من هذه الورطة التي تفوق التصور ، الا أنني سمعت صوتا رحيما يقول :

– ارجعوه الى الأرض فورا ، واحقنوه بحقنة النسيان لئلايتذكر اي شيء ، لانريد أحدا من عائلته بعد الآن .. لقد عرف من أسرارنا أكثر مما يجب !

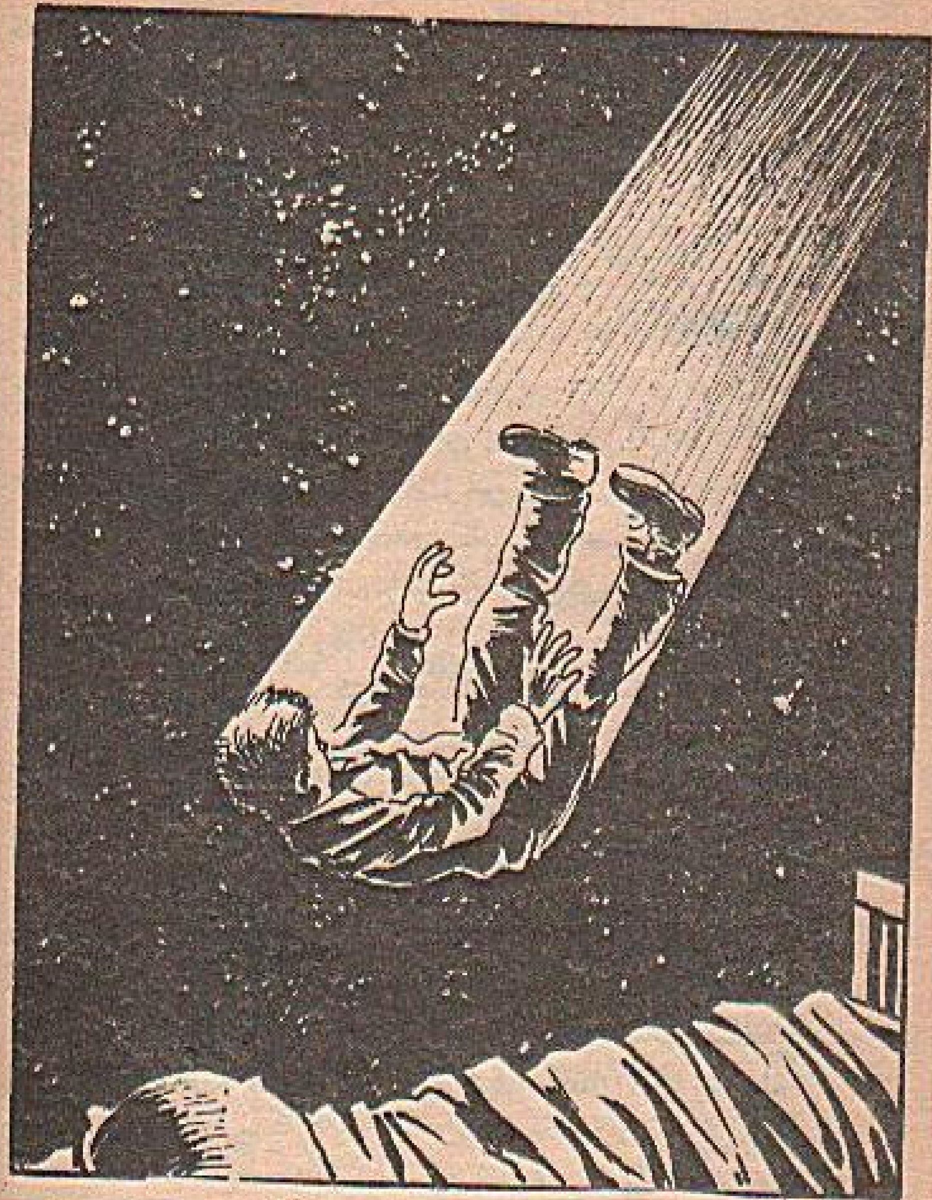
الغريب في تلك الحظة ، أن نادية حسيب ظهرت
معهم وهي تصرخ بوجه صارم :
ـ قلت لكم انهم فضوليون ، يريدون معرفة كل
شيء ـ حتى ـ بلا سبب معقول .
نظرت اليها ، تمنيتأن تنقذني من هذه المشكلة ،
لكنها صارت اقطع منهم واكثر قسوة ، قلت لها :
ـ سيدتي ، لم اقصد معرفة أسرارهم ، كنت
وحدي في الغرفة لاأعرف ماأفعل ومددت يدي دون
قصد الى ازرار الشاشة . لابد أن تساعديني فأنت
وحدك من أبناء قومي وهؤلاء غرباء عني وعنك .
لكن نادية حسيب راحت تصرخ في وجهي لاول
مرة بعنف وحقد عجيبن ، وانا انظر في عرنيها اكاد أفقد
صوابي مما سمعت :
ـ اخرس ، هذا يكفي ، ستعود الى الارض
وتنتهي من متاعبك ، هل كنت تصدق انني ناديةحسيب
فعلا ؟ اننا نصنع الف (نادية) متى شئنا . ياالك من
مغفل .

* * *

في لمح البصر انتقلت من كوكب (زامرون)
الى سفينة (ساروف) بلا اهتمام ، ودون أن يعتني
بأمري أي منهم ، عبرت السفينة الاف الكواكب
والمجرات ، ومررنا قرب نيازك تحترق وأمطار غزيرة
تنهمر ، ثم قال لي وجه ظهر على الشاشة :
ـ انظر ، هذا بيتكم ، حين تهبط تكون قد نسيت

كل شيء وسترى أهلك أيضا وهم لايعرفون بما جرى .
كنت أريد أن أبكي فرحا ، لاأصدق أنني سأعود
الى دارنا حقا ، وانهم رغم مافعلت لم يقتلونني أو
يحرقونني في تلك البحيرة الحمراء الرهيبة .. ثم
أقتربت السفينة (ساروف) من سطح منزلنا وهبطت
على سطح دارنا بسلم من شعاع مغناطيسي مضيء
.. رماني الشعاع على فراشي تماما ، حيث رأيت أخي
(ياسر) يغط في نوم عميق وأختي وداد وأبي وأمي
..نظرت اليهم وبكيت ، سمعني ابي ، هو الوحيد الذي
أيقظه بكائي فاقترب مني وقال لي :
ـ ماذا بك ياطارق ؟ هل كنت تحلم ؟
لم أصدق هذا السؤال الذي يطرحه والدي ،
نظرت الى وجه أبي وقلت له :
ـ لكنني ياأبي كنت هناك ، في أعلى السماء ،
وانت تدري ، الم يخبركم أخي ياسر ؟
ابتسم أبي وراح يقول بهدوء ومحبة :
ـ نم ياطارق ، ستحكي لنا احلامك في الصباح ..
كنت أريد أن اصرخ : « لم يكن حلما يا أبي » ..
لكنني نظرت الى النجوم وهي تملأ السماء العظيمة ،
تلك السماء الصافية الجميلة ، ثم نظرت الى عائلتي
وهي تنام هادئة هانئة .. لم اعرف ماذا افعل أو ماذا
اقول غير الصمت ..

* * *



رماني الشعاع على فراشي تماماً

في اليوم التالي ـ مباشرة ـ بينما كان أبي يضحك وهو يحكي عني وكيف أيقظته من نومه وأنا أبكي ، وبينما استمر أبي يسألني عن حلمي هذا ، سمعنا طرقا على باب البيت ، ذهبت أختي ودادوبعدها راح شقيقي ياسر ، وما هي الا ثانية واحدة حتى صرخ ياسر بصوت فرح :

ـ تعال يا طارق وانظر ..

كان ساعي البريد ، أو من ظننته ساعي البريد، قد احضر دراجة هوائية لونها احمر وأسود وبنفسجي ، ثم أعطاني غلافا انيقا مشدودا بوردة صناعية ما أن فتحته حتى رأيت (ساعة يد) في غاية الجمال ، قال لي قبل أن يغادر باب البيت :

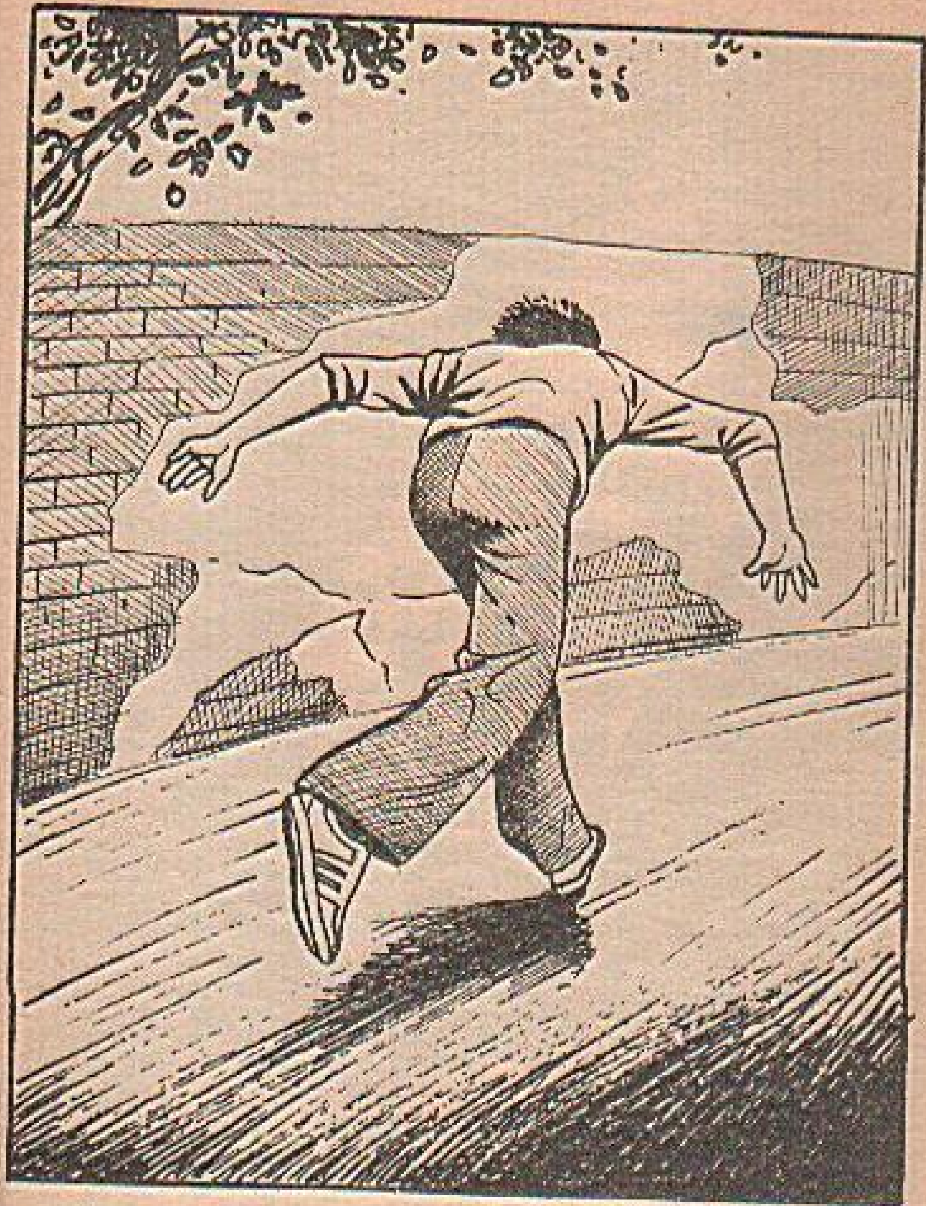
ـ يمكنك سماع نشرة الأخبار أو شيئا من الموسيقى ، بالزر الاحمر ، ويمكنك أن تعرف الوقت واليوم والشهر بالزر الاسود ، أما الزر البنفسجي فهذا ما ستعرفه بنفسك !

قلت له أن ينتظر ، لكن ساعي البريد كان قد أختفى ، ركضت خلفه أبحث عنه ، فلم أعثر عليه رغم انه لم يمش الا مسافة قليلة جدا ..

مددت اصبعي الى الزر البنفسجي ، فسمعت صوتا يقول :

ـ مع أجمل تحيات (ساروف) أسطورة (زامرون) الذي لايخطيء أبدا !

رجعت اركض الى البيت ، اقتربت من أبي ـ وكان هو الاخر سعيدا بترقيته الى منصب جديد اكبر



رجعت اركض الى البيت

... ولا تسخر
مني ..

نظر أبي الى وجهي مستغربا وقال :

ـ ماذا اسمع ياطارق ؟

مددت اصبعي ثانية على الزر البنفسجي ، لكن الصوت لم يظهر أبدا ، فعلتها ثالثة ورابعة وخامسة ، لكن الصوت لم يظهر حتى الان الا حين اكون وحدي فقط !